البوابة التعليمية الجزائرية

محاورة الطّبيعة

سبق وأن شاهدت الطبيعة وهي تئنّ وتعاني من تصرّفات الإنسان الذّي ظلّ يهدّد بقاءها واستمرارها. فهي بكلّ مظاهرها لسان حالها يقول: أنقذوني من بطش وفتك الإنسان.

أثري لغتي

عِنْدَ الْفَجْرِ، قُبَيْلَ بُزُوغِ الشَّمْسِ مِنْ وَرَاءِ الشَّفَقِ، جَلَسْتُ فِي وَسَطِ الْحَقْلِ أُنَاجِي الطَّبِيعَةَ، وَبَيْنَمَا كُنْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، مَرَّ النَّسِيمُ بَيْنَ الْأَغْصَانِ مُتَنَهِّدًا تَنَهُّدَ يَتِيمٍ يَائِسٍ، فَسَأَلْتُهُ مُسْتَفْهِمًا: لِمَاذَا تَتَنَهَّدُ يَا أَيُّهَا النَّسِيمُ اللَّطِيفُ ؟ فَأَجَابَ: لِأَنَّنِي أَذْهَبُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ مَدْحُورًا مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ تَتَعَلَّقُ بِأَذْيَالِي النَّقِيَّةِ مِكْرُوبَاتُ الْأَمْرَاضِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَرَانِي حَزِينًا.

ثُمَّ الْتَفَتُّ نَحْوَ الْأَزْهَارِ فَرَأَيْتُهَا تَذْرِفُ مِنْ عُيُونِهَا قَطَرَاتِ النَّدَى دَمْعًا، فَسَأَلْتُ: لِمَاذَا الْبُكَاءُ، يَا أَيَّتُهَا الْأَزْهَارُ الْجَمِيلَةُ ؟ فَرَفَعَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ رَأْسَهَا اللَّطِيفَ وَقَالَتْ: نَبْكِي؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْتِي، وَيَقْطَعُ أَعْنَاقَنَا وَيَذْهَبُ بِهَا نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَيَبِيعُهَا كَالْعَبِيدِ، وَنَحْنُ حَرَائِرُ، وَإِذَا مَا جَاءَ الْمَسَاءُ وَذَبَلْنَا، رَمَى بِنَا إِلَى الْأَقْذَارِ. كَيْفَ لَا نَبْكِي وَيَدُ الْإِنْسَانِ الْقَاسِيَةِ سَوْفَ تَفْصِلُنَا عَنْ وَطَنِنَا الْحَقْلِ؟

وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ سَمِعْتُ الْجَدْوَلَ يَنُوحُ كَالثَّكْلَى، فَسَأَلْتُهُ: لِمَاذَا تَنُوحُ يَا أَيُّهَا الْجَدْوَلُ الْعَذْبُ؟ فَأَجَابَ: لِأَنَّنِي سَائِرٌ **كُرْهًا** إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ يَحْتَقِرُنِي الْإِنْسَانُ، وَيَسْتَخْدِمُنِي لِحَمْلِ **أَدْرَانِهِ**، كَيْفَ لَا أَنُوحُ وَعَنْ قَرِيبٍ تُصْبِحُ نَقَاوَتِي وِزْرًا وَطَهَارَتِي قَذَرًا.

ثُمَّ أَصْغَيْتُ، فَسَمِعْتُ الطُّيُورَ تُغَنِّي نَشِيدًا مُحْزِنًا يُحَاكِي النَّدْبَ فَسَأَلْتُهَا: لِمَاذَا تَنْدُبِينَ يَا أَيَّتُهَا الطُّيُورُ الْجَمِيلَةُ؟ فَاقْتَرَبَ مِنِّي الْعُصْفُورُ وَوَقَفَ عَلَى طَرَفِ الْغُصْنِ وَقَالَ: سَوْفَ يَأْتِي ابْنُ آدَمَ حَامِلًا آلَةً جَهَنَّمِيَّةً تَفْتِكُ بِنَا فَتْكَ الْمِنْجَلِ بِالزَّرْعِ، فَنَحْنُ يُوَدِّعُ بَعْضُنَا بَعْضًا؛ لِأَنَّنَا لَا نَدْرِي مَنْ مِنَّا **يَتَمَلَّصُ** مِنَ الْقَدَرِ الْمَحْتُومِ، كَيْفَ لَا نَنْدُبُ وَالْمَوْتُ يَتْبَعُنَا أَيْنَمَا سِرْنَا؟ طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ، وَتَوَّجَتْ رُؤُوسَ الْأَشْجَارِ **بِأَكَالِيلَ** ذَهَبِيَّةٍ وَأَنَا أَسْأَلُ ذَاتِي: لِمَاذَا يَهْدِمُ الْإِنْسَانُ مَا تَبْنِيهِ الطَّبِيعَةُ؟

[**جبران خليل جبران. دمعة وابتسامة. ص**: 136]

كرها: أي لست راضيًا

أدرانه: أوساخه

يتملّص: يتخلّص

الأكاليل: التيجان